

من ابن هردوك هذي الساعة

عبدك رزاق عبدك واحد

صوت:

لأني فرقتُ في الناس لحمي
لأني حملت عذاباتهم
لأني تسميتُ باسمي

صوت:

لأنَّ المسافة بين الرصاصة والقلب ضيقةٌ
لأنَّ الذي يقطع الدرب بين القتل وقاتله
شاهدٌ وقتيلٌ
صرتُ في زمني الشاهد المستحيلُ

صوت:

ملعونٌ من يمسك للقاتلِ جذعَ المقتولِ
ملعونٌ من يمدح إنساناً عن عينيه
أو عن كفيه
ملعونٌ من يأمن ذئباً في مرعى
يا أولاد الأفعى
ألفي عامٍ أبحث عن رأسي بين الأكتاف وبين
الأرؤس
كم جسداً مثلي يسمي

طفل:

يا يوحنا خذ مني شفةً

طفلة:

يا يوحنا خذ مني عيناً

صوت:

يا يوحنا.. أرشد كنفني إلى رأسي
كم جسداً مثلي يسمي
كم جسداً مثلي يسمي

* * *

مندورٌ هذي الليلة للأحزان
مندورٌ أفتح أبوابي لطيور الغربة
أمنح أهداي لنعاسٍ لا أعرف آخره
موحشةٌ روحية
موحشةٌ حتى الأرض التحضني الليلة

آه من لحظات تسبق صحتك الكبرى!
مندورٌ هذي الليلة للقلق الأكبر
مندورٌ أن أختلي الليلة بالموت
ويحتلي الموت الليلة بي
وأنا المبتور القدمين أعالج نقطة مرتكزي هذي الليلة
منفرداً

ممتليءٌ بالصمت، وممتليءٌ بالجهول
وممتليءٌ بجميع الأشياء اللاممكنة الليلة
وحسبتُ بأنك تعرف
أبصرتُ الناس يموتون فأنت إذن تعرف
ماذا تعرف عن لغةٍ لا يتكلمها إلا موتك في هذا
الليل؟

لو تملك يا مجذوم القدمين وقوفاً لحظتها
لا تتأرجح أو تنكب على وجهك
من يدري؟

سيقولون من الخوف
يقولون من اليأس
وتعلم أنك مندورٌ وقبلتُ بندرك
والناس يقولون يقولون...
لو تملك أن تركض للموت فتختصر الدرب
وتختصر الخذلان!
مندورٌ هذي الليلة للأحزان
مندورٌ أذبح هذي الليلة
فأنا أبحث عن قبلي الساموت عليها
وعزيزٌ أن أقتل بين الشك وبين الإيمان
قيل أنشر عينيك على الأفق الغربي
وترصدٌ نجماً

إن صدق العرافون نبوءتهم
يظهر هذي الليلة فوق الأفق الغربي
إذا انتصفت هذي الليلة فانظر
فاذا انحاش النجم إلى زاوية في الأفق وأخلد
مرتعشاً

وإذا الليل اصفر فأبصرت سماءً من كبريت مغلقة كالمعدن
تتصعدُ فيها أنفاسُ النومِ مثل دخانٍ أبيضٍ
وإذ اران على كلِّ الأشياءِ نعاسٌ كالموتِ
فلا نامة إلا خفقانُ النجمِ المذعورِ على الأفقِ
وإلا خبطٌ جذاذةٌ ساقيكِ على الأرضِ
فوجهٌ وجهك شطرَ الأفقِ الغربيِّ
فقد صدق العرافون نبوءتهم
وسيطهروا فصَّ أسودٍ
يسبحُ في وهجِ أسودٍ
فإذا أنشَبَ عينيه بعينيكِ
فحدِّدْ حجمَ الموتِ المقبلِ
ولعلَّكَ إن تبصره تجد ليقبلكِ مرسى
ولعلَّكَ لا تأسى
أو تجد السلوى
ولعلَّ..
لعلَّ...
لعلَّ....

خدرتُ،
وعُيِّبتُ عن قلقي...

حين ينتصف الليل... •

بيني وبين انتصافك شوطٌ أموت به ألف موتٍ وأحيا..
وبيني وبين انتصافك صحوٌ

إذا عادني فمن الضامني أن كفي، لن
تتراعى بالكأس حتى لأرتاب أني سأشرها!
هلعٌ تحدث عنه عجائزنا بالهمس، وبالإيماء
وإذ يسألن يسملن ويقرقن الأعين

ضحكت منكر صبايانا
ورأيت بأعينكن سياتاً
ورأيت إلى السمات تفرُّ إلى الأطراف فتغدو
حركاتٍ متشنجةً خجلي
وقرأتن دعاءً

واستغفرتن لنا نحن الأغرار
نحن الما أبصرنا النجمَ الدمويَّ فما نعلم ما يعني نجمٌ
دمويٌّ يظهر في الأفقِ الغربيِّ!
من أين هذووك هذي الساعة؟!

لو كنت تمددت مع الزمن المتبقي من عمرك طويلاً
لترهلت إذن واتسعت كلُّ خلاياك
فما أحسست بما ينفذ في لحمك
ترفض أن تقطع عمرك إلا عمقاً
ليكن

وتأمل سكينك كيف تقطع كلَّ شرايينك وهي تغوص
إلى آخر لحظات العمر!
من أين هذووك هذي الساعة
أنت المترصد موتك

أو سبياً يجعل موتك أنضح في عينيك...
- أيها الرجل المبتهل
نذر الناس نجماً
وأنت نذرت لنجمٍ، وبينكما ليلةٌ
أمنت تعلم

- أعلم
- عقدوا الخيط سبياً
وإذ رفعوا عنه أيديهم
حلت العقد الست أنفسها
أنت تعلم

- أعلم
- فانظر، فبينكما ليلةٌ
- هي كلُّ المدى
وما بيننا عقدةٌ
هي كلُّ المدى
بالنواجذ حاولتها
قلقُ العمرِ جمعته في أظافرِ كفي

- ندري

- وكنت بصمتي أدافع

- ندري

ولكنها ليلةٌ
- آه، من يملك الصبر لوزته جحظت، حولها عقدة؟
آه من يملك الصمت مندجاً بين نجمين كلُّ يمينيه
موتاً؟!

وفي كلِّ يومٍ، أصور نفسي ميتاً على هيئة
ثم أرفضها..

أفأحل قبري
أطوف به
أسأل الناس:

يا من يفصل لي ميتة؟!
أيها الجسدُ الربُّ

هذي يدٌ أنكرتها جميع النبوات
تصرع أن تتقبلها

إنني أتحمس أطراف كلِّ المسامير في لحمك الحيِّ
فامنح يدي جرأةً تتحسُّ نفسَ المواضعِ في جسدي
أنا أعلم أن المسامير في جسدي سوف تصدأ
أعلم أنني أرفرفُ ثانيةً ثم أهدأ
لا لحم يبقى

ولا رسم يبقى
وأنت هنا منذ ألفين يا سيدي،

كلَّ ليلٍ يُظللُك اللحم
حتى إذا أصبح الصبحُ تعري!
منذ ألفين تؤكلُ يا سيدي صامتاً
أفأ أن تغضب الآن؟

يا يحيى دع...

ها هي الكأسُ تهمي
وما زلتُ في أول الليل
أيّ الدروب سلكتَ فلم تعطِ موتكَ فرصةً أن يتخيرَ
يا سيدي؟
أنت أترعتَ كأسك،
لم تنهمر قطرةً
وأنا،
نصفُ كأسٍ،
ومن أول الليل تهمي
والمسافةُ يا سيدي جدُّ شاسعةٍ
هي مرتكزي
وهي منتصفُ الليل
والكوكبُ الدمويُّ الذي
والذي ربّما..
والهواجسُ يا سيدي
كلُّها حجةٌ أمدُّ
كلُّها حجةٌ عدلٌ دهرٍ من الموت
أيّ الدروب تحيّرتَ فاختصرتَ لغةَ الموت فيك
تفاصيلها؟؟
أيتها الكأسُ،
محكومةٌ أنتِ أن تُشرّبي للقرار
فلا ترجفي
أيتها العين لا تطرفي
ندفعُ الخوفَ بالموتِ
أو ندفعُ الموتَ بالخوفِ
تلك قضيتنا نحنُ
كلُّ النبواتِ عاجزةٌ أن تسميَ ميتاً بلا شاهدٍ
فأنا مرجأُ
مرجأُ أن أعيشُ
مرجأُ أن أموتَ
مرجأُ مرجأُ مرجأُ
أيتها الميتون بلا شاهدٍ
تُرفضُ الآن ميتتكمُ
فاحلوا فضلَ أكفانكمُ
واتبعوني لمنتصفِ الليل هذا
ثم موتوا شهوداً على بعضكم!
أيها الميتون بلا شاهدٍ
إتبعوني لمنتصفِ الليل هذا
إتبعوني لمنتصفِ الليل هذا...

عبد الرزاق عبد الواحد

أن تصرخ الآن؟

أن تتغيّر هذي الرسومُ التي أسلمتك

إلى الصمت أن...

- أيتها المتأرجحُ في مدرجِ الموت

هل أنت وحدك؟

- من سائلي؟

- إن يكن معك الآن من شاهدٍ فليقومك

- ليس معي غير نفسي

- تجنبُ إذن.

يتقدمُ من جاء يسعي بشاهده

- أيتها الصوت..

يا لغةُ شابٍ رأسي عليها

يا نداءِ الدروب التي ضيّعتني

يا لغةً قتلتي

كن أنت لي شاهداً...

أنت ترفضُ أدري،

وما كان لي أن أرى عنقي تلتوي هكذا!

جئتُ أحملُ جلدي،

لقد وشمّ الموتُ حتى منابتَ أظفاره..

أفتغني شهادتهُ؟

جئتُ أحملُ عينيَّ

تعلمُ أنها أبيضاً فرط ما حملتُ الموتُ فيّ وحملتُ

فيه

أُغني حضورها؟؟

ومعي جعبة،

منذ قالت لي أمي بأن الأظافر تشهدُ يومَ القيامةِ

جمعتها إظفراً إظفراً

أفتغني شهادتها؟؟

أيها الصوت

يا أيها ال...

هكذا!؟

فأنا لستُ أملكُ حتى بأن أدعي حتى موتي!؟

كان لي عدّ نبضي شهوراً

وما أثبتوا أنني كنتُ أحياء!

من يُعير الذي يبحث الآن عن موته شاهداً؟

يا يحيى

تملكُ عدّ منابتِ شعر الراسي شهوداً

فاتركُ رأسك لا تبحثُ عنه

فلو عاد إلى أكتافك تنكره الساعةُ

تسألُ أن يُقطعَ

تسألُ أن تحضرَ شاهدَ موتٍ

يا يحيى دع رأسك

يا يحيى دع رأسك